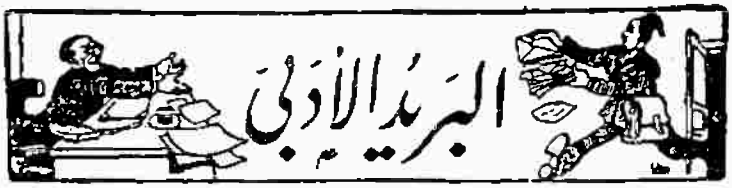

١ – الحرية اللغوية !

أخذ الأب أنستاس مارى الكرملى على الأستاذ محمد مندور خطأً لغوياً وقع فيه حين قال : « وأما قصة الكراكى ، فقصة لا أثر لها فيما (عثرت به) من كتب اليونان » ؛ وذلك لأن وجه الصواب أن يقال : عثرت (عليه) لا عثرت (به) ، والعثور بالشئ غير العثور عليه . وقد أراد الأب الكرملى أن يبيِّن للأستاذ مندور – فى تضاعيف كلامه – معنى قوله : (عثرت به) ؛ فقال : « ... ولعله أراد أن يقول : فيما عثرت (عليه) من كتب اليونان ، (أقاله الله من كل عثرة) ، وأن الجواد قد يعثر » . ولكن الأستاذ لم يلتفت إلى هذه الإشارة المقصودة ؛ لذلك رأيناه فى تعقيبه على كلمة الأب أنستاس يعود فيقول : « ... إننى لم أعثر بها ، ولا أقول : لم أعثر عليها – كما يقترح اللغوى الكبير الأب الكرملى – لأن المعنى الذى أريد أن أعبر عنه ، هو أننى لم أعثر بها ، أى لم أقع عليها ؛ وللأب الفاضل أن يظهر علمه – إذا أراد – فى غير هذه التوافه ، وأن يتفضل بأن يترك للكاتب الحق فى أن يتصرَّف فى اللغة ، وفقاً للمعنى الذى فى قلبه » !

ولو أن الأستاذ مندور توخى الحق فى تعقيبه ، لما انساق إلى هذا الردّ ؛ إذ أنّ غرض الأب الكرملى – فيما أعلم – أن يرشد الكاتب إلى التعبير الصحيح المتفِق مع اللغة التى يكتب بها ؛ وأىّ إنسان يجهل الفرق بين عثرت (به) وعثرت (عليه) (١) ؟

ثم أريد أن ألفت نظر الأستاذ إلى أن ما يسميه « توافه » ، ليس كما يتوهم : وسبب ذلك أن اللغة العربية – على الرغم من رحبها وسَعتها – لغةٌ دقيقة ، تتميز بالعمق وبُعد الغوْر ؛ فأى اختلاف فى حرف الجر الذى يجىء بعد الفعل يترتب عليه اختلاف فى المعنى قد لا يفطن إليه الكاتب الذى لا يتوخى الدقة فى التعبير ... وأما الحرية اللغوية التى يطالبنا بها الأستاذ ، فهى حديث خرافة ، لا أظن أحداً من المخلصين للغتنا العربية يقبل أن يسمعه ، ولا أعرف واحداً من كتاب الغرب يدّعيه لنفسه . فأنا أفهم أن تكون هناك حرية فى التعبير وتخير الألفاظ ، وصوْغ أساليب جديدة ؛ وأما الحرية فى اللغة نفسها بحيث يكون للكاتب الحق فى أن يقول : « عثرت به » حين يكون يريد « عثرت عليه » ؛ فهذه حرية لا أفهمها ، ولا يفهمها أحد ، لأنها فوضى لغوية لا تباح إلا حين يكون لكل منا أن يخترع لغةً جديدة تلائم حريته !!

٢ – تعريب الأسماء الأعجمية

لاحظ الأب أنستاس الكرملى فى كلمة الأستاذ مندور أخطاء كثيرة (وأصرُّ على تسميتها أخطاء) فى تعريب بعض الأسماء الأعجمية ؛ فهو يقول مثلاً : (لوسيان) و (مارك أوريل) والصواب : (لقيانس) و (مرقس أوراليوس) . وقد وقع بين يدىّ – بعد قراءة هذه الملاحظة – كتاب « الجمل فى التاريخ المصرى » : (وهو من تأليف بعض أساتذة التاريخ بالجامعة المصرية) ؛ فوجدت فيه أخطاء كثيرة من هذا النوع :

(١) « مختار الصحاح » : (وهو فى متناول كل طالب صغيرنا أعلم) يقول : « عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثاراً بالكسر . يقال : عثر به فرسه فسقط . وعثر عليه : اطلع .. الخ » . فثمت اختلاف كبير فى المعنى ، يترتب على اختلاف حرف الجر الذى يعقب الفعل . واللغة العربية فى هذا كسائر اللغات الأخرى فى الانكليزية مثلا فرق كبير بين التعبيرات الآتية : put down ; put on ; put out ; put by ; put in ; put off ; put upon ; ...)

ثم من هو الزوزنى ، وأبو الزوزنى ، وجد الزوزنى بجانب نصّ القرآن ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، وفصيح كلام البلغاء من العرب ؟ . أنسيت ، يا سيدى وأستاذى ، أن الزوزنى قال هكذا فى شرح بيت اليشكرى : « يقول : ثم قابلنا بعد ذلك حجر بن أم قطام ، وكانت له « كتيبة » فارسية خضراء لِمَا ركب دروعها وبيضها من الصدإ . وقيل : بل أراد : وله دروع فارسية خضراء لصدئها » ا هـ

فلو قال : أراد : وله « دروع خضراء » لما جاز لكنه قال : « وله دروع فارسية خضراء » فجاورت خضراء فارسية فجاز له هذا التعبير . ولا تنس أنه قال فى أول شرحه : « وكانت له « كتيبة » فارسية خضراء – فافهم يا سيدى ، وتأمّل وتدبّر وترو إلى أن تروى من ماء الحقيقة وغيرها . والله المعين

(البقية فى العدد القادم)

الأب أنستاس مارى الكرملى
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

فالكاتب مثلاً يسمى يوليانوس جوليان (ص ١٠١) ، ويسمى كيرلس (وهو اسم شائع بمصر خاصة ، فقد كان البطريرك الأسبق يسمى كيرلس الخامس) : « سيرل Cyril » ، ويسمى ديوقلديانوس « ديوكليشان » ، ويسمى هباتيا « هباشيا » ، ويسمى ثيودوسيوس « ثيودوزيوس » ، وأثناسيوس « أثنازيوس » ومرقيانوس « مارسيان » ص ١٠٢ ، ويوستنيانس « جوستينيان » ص ١٠٤ الخ . وسبب هذه الأخطاء كلها رجوع الكاتب إلى الاسم في لغة غير لغته الأصلية — كالإنجليزية أو الفرنسية — حتى لقد سمى بعضهم سقراط « سوكراتيز » ، أو « سكرات » ! والواجب « أن نعود إلى لفظ الأعلام كما ينطق بها أصحابها » : (كما قال الأب الكرملي في مقاله ، وكما قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية) . وذلك لأن الاسم الأصلي كثيراً ما يختلف عن الاسم الموضوع باللغات الأجنبية ؛ والعرب لم يترجموا الأسماء إلا عن لغتها الأصلية ، ومن ثم نجد اختلافاً كبيراً بين الأسماء العربية التي وضعوها نقلاً عن اللغة الأصلية نفسها ، والأسماء العربية التي يضعها بعض الكتاب نقلاً عن الإنكليزية أو الفرنسية . وهذا الاختلاف كثيراً ما يضيق به الطالب الذي يرجع إلى المؤلفات التاريخية العربية ، مع أن الألفاظ التي يجدها في كتب العرب هي الأصح ، لأنها أقرب إلى الأصل من الألفاظ التي ألف استعمالها نقلاً عن الإنكليزية والفرنسية

ومن الغريب أن بعض أساتذة الجامعة يصرون على استعمال طريقة النقل عن هاتين اللغتين في تعريبهم للأسماء الأعجمية . وإني لأذكر أن أحد أساتذتنا في الجامعة — وهو يدرّس لنا الفلسفة المسيحية — نطق باسم « أمبرواز Ambroise » ، فرده طالب من بيننا قائلاً له : الاسم بالعربية هو « أمبروسيوس » ؛ ولكن الأستاذ أبى أن يأخذ باللفظ العربي ، مع أن الاسم في لغته الأصلية يُنطق بالسين لا بالزاي (كما يقال أيضاً فيلسوف لا فيلوزوف) . ولا يفوتني أن أذكر في هذا الصدد أنني قرأت مقالاً في هذا الموضوع للفريق أمين باشا المعلوف[1] ، يتضمن بعض الأصول التي يجب التزامها في تعريب الأسماء الأعجمية

(١) نشر بمجلة « المقتطف » مرتين : (الأولى في يونية ويولية سنة ١٩١١ ، والثانية في فبراير سنة ١٩٣٣)

(عن اللاتينية أو اليونانية) ؛ فإلى هذا البحث أوجه نظر الأستاذ مندور — وغيره من أساتذة الجامعة الدقيقين — حتى يعمّ النطق الصحيح بين الطلاب ، ولا يجد أحدهم صعوبة في تذوق اللفظ العربي الذي يمر عليه في كتب التاريخ العربية .

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال

لم يكن لنا إلى ما قبل عشرين سنة أو ما حولها تاريخ مفصل لنهضة البلاد الوطنية يضمه كتاب ، ولا سند صحيح لحركتها القومية يحتويه سفر ، وإنما كان هذا التاريخ مطموس المعالم مبهم الحدود ، حتى لو أراد دارس أن يقف عليه أو يلم به لأعياه السعي ولعميت عليه السبل ، إذ لا يجد مهما جد في البحث وأمعن فيه إلا أنباء مبعثرة هنا وهناك بين صفحات أسفار لا يبلغها الحصر ، ولو هو ظفر بشيء منها لوجده مما لا يشبع نهمه ولا يروى غليله . ومن الغريب أن يظل جهادنا لوطننا وكفاحنا في سبيل تحرير بلادنا ، بغير تاريخ يبين أطواره ، ويسجل أدواره ، ويكشف عن نصيب كل جيل منه بما أنفق فيه من جهد وما قدم له من عمل !

وقد ظل هذا النقص بادياً في تاريخنا إلى أن قيض الله له مؤرخاً محققاً ، وقانونياً كبيراً ، وسياسياً محنكا ، ومجاهداً مخلصاً ، هو الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك . توفر حفظه الله على دراسة هذا التاريخ والبحث عن تفاريقه الممزقة بين مئات الأسفار ، واستقل بأعبائه وحده يؤلف بين هذه التفاريق ويجمع أشتاتها ، مُستَنفِداً ما وسعه من جهد في سبيل تمحيصها واستخلاص الحق منها ، باذلاً في سبيل إحسان عمله كل نفيس من نفسه وماله ، مما لا يكاد يستطيع فرد أن ينهض وحده به ، حتى أخرج لنا في أصدق صورة وأبلغ بيان عملاً ضخماً ، وعلى أنه قد ملأ مما عمل لهذا التاريخ قسمة أسفار كبار فإنه قد بقي منه أجزاء أخرى ستظهر إن شاء الله

كان الذي بعث عزيمة المؤلف على هذا العمل أنه كان يريد أن يضع « تاريخاً لفقيد الوطن العظيم مصطفى كامل على مثال كتاب (بول مشانل) عن (جامبتا) خدمة للقضية الوطنية

وأداء لواجب الوفاء نحو من تلقى عنه مبادئ الوطنية الأولى[١]» ولكنه وجد أن تاريخ هذا الزعيم يستتبع « الكلام عن مبدأ ظهور الحركة القومية بمصر والتطورات التي تعاقبت عليها[٢] » فجعل همه أن يدرس هذه الحركة «من بدء ظهورها إلى اليوم[٢]» ذلك بأن مصطفى كامل إنما كان « يمثل دوراً من أدوار الحركة القومية سبقته أدوار وتلته أخرى ، ولا تكون دراسة الحركة القومية وافية إذا اقتصرت على عصر واحد من عصورها ، بل يجب أن يتناولها البحث بأجمعها »[٣]

ولما أنشأ يدرس الأدوار التي تقدمت عصر مصطفى كامل لكي يصل إلى مبدأ هذه الأدوار ، وجد بعد مواصلة الدرس ومطاولة البحث أن « للروح القومية التي بدأت تظهر في أواخر القرن الثامن عشر — يجب أن يرجع مبدأ الحركة القومية المصرية ؛ وأن أول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر »[٣]

ولم يقف به البحث عند دراسة الحركة القومية ، بل وجد أن تاريخ هذه الحركة يدعو إلى « دراسة نظم الحكم التي تخللت أدوارها ، ذلك أن سياسة الحكم وأساليبه كانت في مختلف العصور والبلدان الرئيسية لظهور الانقلابات والحركات القومية كما أن لهذه الحركات أثراً فعالاً في تطور نظام الحكم »[٣]

ولما استوت له هذه الطريقة ووضع لها المعالم وأحكم الحدود ، أخذ يؤرخ هذه الأدوار على ما قدمنا ، ثم زاد عليها ما يلابسها وما يتصل بها من دراسة الحركات العلمية والفكرية والاقتصادية مما هو كمال لها ، وتمام عليها ، بما في ذلك من ترجمة رجال هذه الحركات كلها

ولقد كنت أود أن أفصل القول في وصف هذا العمل العظيم الذي يعد بلا ريب من أعظم الأعمال التي يقوم بها المجاهدون المخلصون في سبيل أوطانهم ، وأن أبين شيئاً مما جاء في هذا التاريخ الزاخر الذي أوفى فيه مؤلفه الجليل على غاية ليس فوقها مرتقى لهمة ، ولا وراءها مذهب لذي إحسان ، حتى يعرف القارىء الكريم مقدار هذه المعلمة الوطنية ويقف على هذا النهج الفريد من التأليف الذي يجمع بين عف القول وصدق اللهجة وبين بلاغة التعبير وتقرير الحق ، ثم ما وراء ذلك من وزن الأمور بميزان الدقة والنزاهة وهو ما اتصف به مؤلفنا الجليل سواء كان ذلك في أقواله وأفعاله أو في جهاده وتآليفه

كنت أريد ذلك كله أو بعضه ، ولكن ما أصاب الصحف في هذه الأيام من ضيق الصفحات وقلتها يضطر الكاتب إلى أن يلزم القصد في القول والإيجاز في التعبير

من أجل ذلك أراني مرغماً على الوقوف عند الكلام على هذا الجزء الذي عقدت من أجله هذه الكلمة ولكن بعبارة موجزة لا تعدو بضعة سطور . تكلم المؤلف الفاضل في هذا الجزء عن تاريخ مصر القومية مدى عشر سنوات (من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢) وهي السنوات الأولى للاحتلال وفصل القول في جميع ما جرى للبلاد في هذه الفترة من كل النواحي تفصيلا لا يوجد مثله في كتاب . وبحسبك أنه قد جاء على غرار ما سبق من الأجزاء من حيث التحقيق والاستيعاب ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا ترك ناحية من نواحي هذه الفترة من تاريخنا إلا بينها وجلاها . فجزاه الله بما قدم من عمل صالح لبلاده خير الجزاء ، ووفقه بعنايته وفضله إلى إتمام ما بقي لهذا التاريخ من أجزاء ، إنه سميع الدعاء .

(المنصورة) محمود أبو ريه

(١) ص ٣ من الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية

(٢) ص ٤ من نفس المصدر

(٣) ص ٤ من نفس المصدر

أسلوب جديد — أدب جديد

ذلك ما تطالعه في عبقرية شاعر الروح الخالد

علي محمود طه

لأديب القلوب الفنان

عزت حماد منصور

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)